



البيوت أسرار

«البيوت أسرار».. وولا يحق لأحد أن يدخل بيتنا دون استئذان لكن إذا فتح البيت بابَه وقلبه لأخيه الإنسان فقد يجد في ذلك راحة وتفهما

للتواصل
albeyotasrar@alanba.com.kw
إعداد: محمود صلاح



واصلني الإصرار بي على موقفك

أنا أرملة في الثانية والأربعين من عمري. مسلمة.. أخاف الله وأعرف تعاليم ديني. وأتحدى بالأخلاق التي يشهد لي بها الكثيرون. وأعاهد الله دائما ألا أغضببه وألا ارتكب أية معصية. ولست من هذا النوع من النساء اللاتي يلهثن وراء صرعات الموضة الحديثة. أو يتفنن في إيقاع الرجال في شباكهن، وقد شاء قدرتي أن يزوجني أهلي فعمدت حياتي راضية مع زوجي وأنجبت منه أربعة أولاد أكبرهم الآن في الثامنة عشرة من عمره شاب على وشك الزواج. ولقد عاهدت زوجي وهو على فراش المرض يستعد للقاء رب كريم أن أكون مخلصه له لأبدي. وأن أكمل رسالته في الحياة الدنيا بأن أكون الأم والأب لأولادنا. وأن أحاول تعويضهم عن فقدانه، وأوزع حبي الذي أكنه له في قلبي بالتساوي بينهم. وتوفي زوجي.. ومرت السنوات. وانظر لولدي الأكبر فأجد نسخة من أبيه.. في رجولته.. في احترامه لأخواته. في طاعته لله سبحانه وتعالى.. فاشعر بأن الله وفقني في رسالتي في تربية أبنائي وكان زوجي لم يمض. حتى جاءت الساعة التي لم أكن أتوقعها. وجاء أهلي إلى بيتي.. ليس للطمأنان

أو لصلة الرحم. لكنهم جاءوا ومعهم الخبر الذي لا يسر عدوا ولا حبيبا.. قالوا: يجب أن تتزوجي. وخبروني بالزوج من اثنين من العائلة.. والغريب أن كلا منهما متزوج ولديه أسرته. وقالوا: لا بد أن توافق على الزواج من أيهما. في أي شرع أو عرف يريدون هدم أسرة سعيدة. ثم إنني إنسانة ويجب أن يكون لي حق في الاختيار أو الرفض. فكيف يرغموني على الزواج؟ كيف أتزوج وأنا لا أريد أن أرى أو أعاشر إنسانا آخر بعد زوجي الراحل؟ إنني لا أريد لأسرتي الصغيرة أن تتفك، هذه الأسرة التي هي كل سعادتي والتي بنيتها على الحب والتفاهم والاحترام.. فكيف لغريب أن يتسلل إليها؟ كيف أحطم نفسية ابني الشاب وأكسر بخاطره بعد أن كبر وصار عربسا؟ الذي يؤرقني ويؤلمني يا سيدي أن أخي هو الذي يتولى زعامة هذه المهمة وهو يهددني قائلا: ليس عندنا امرأة لها رأي في مسألة الزواج. أكتب لك وأنا أعرف صعوبة موقفي، وأذرف الدموع بائسة محبطة خائفة على فلذة كبدي وأنا أتخيل ماذا سيكون مصيرهم إذا نجح أهلي في إرغامني على الزواج؟ وأسألك: هل أغضب أهلي وأخالفهم وأرفض

ودخلت الشيطانة بيتنا



من لا يعلمه أهله.. تعلمه الأيام! حكمة ودرس بليغ لم أدره إلا بعد أن دفعته ثمنه غالبا.. من حبرتي ومن مستقبلي ومن استقرار بيتي الذي قوضته بيدي. من داخل أحد سجون دولة أوروبية لا بد أنك ستعرفها من طابع البريد على رسالتي، أكتب لك حكايتي لعل غيري يتعظ ويتعلم ولا يسقط في نفس الهوة التي سقطت فيها، وأدعو الله أن يغفر لي ذنبي ويقبل توبتي.

أنا شاب مصري عسى أعتاب الثلاثينيات.. نشأت في أسرة متوسطة الحال جاهدت حتى توفر لي التعليم العالي، وحين تخرجت تلفت بأسي، لأجد أن الوظائف الرسمية التي يمكن أن تتاح لي، لن توفر الحياة التي أريدها ولا تساعدني على تعويض أهلي عما قدموه لي على حساب أنفسهم!

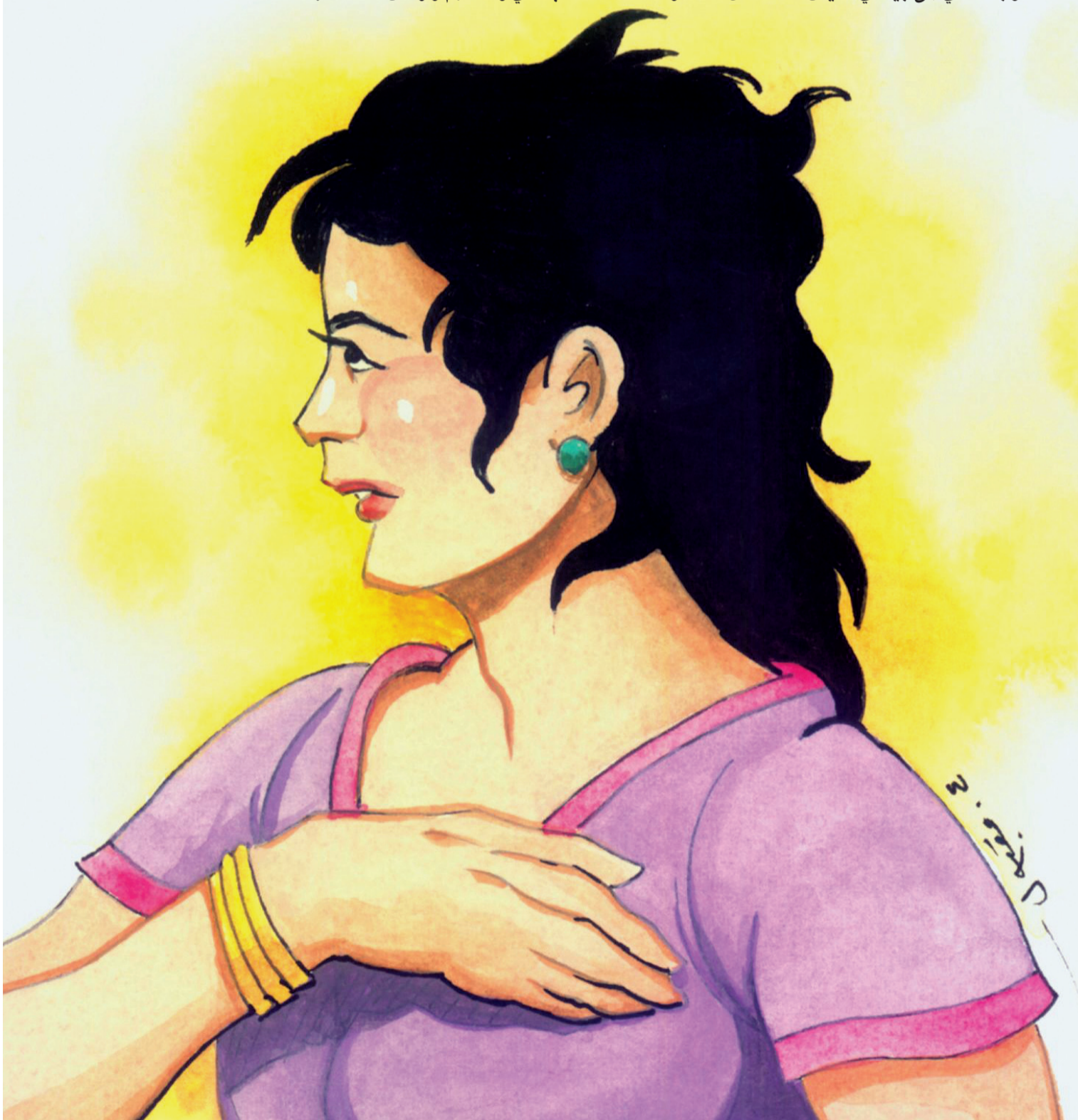
وبعد أن تنقلت في عدة وظائف. تولاني اليأس وبدأت أفكر جديا في الهجرة إلى أحد بلدان أوروبا، خاصة بعد أن كنت قد تلقيت خطابات من أحد زملاء الدراسة في الجامعة، والذي ترك الدراسة وهاجر إلى تلك الدولة، وكان في خطاباته لي يؤكد أنه حقق كل أحلامه، في مجتمع متعلم متحضر يشجع الإنسان على التفوق. وما هي إلا شهور وكنت أهيض في مطار عاصمة هذا البلد الذي يشتهر بالبرودة الشديدة، وفي اللحظة الأولى تولاني إحساس قهقري بالخوف من الفشل فأنا لا أعرف أحدا سوى صديقي كما أنني لا أعرف شيئا عن لغة هذا البلد وهي صعبة التعلم. لكن صديقي وقف معي في الفترة الأولى.

وعانيت الكثير من أحاسيس الغربة ومن الوحدة، وعاونني صاحبي في الحصول على وظيفة في إحدى الصيدليات التي تعمل حتى الصباح. وشيئا فشيئا بدأت أحوالي تتحسن بعد أن وثق بي الطبيب صاحب الصيدلية وتعاطف معي، وساعدني على العثور على مسكن بسيط مناسب، وخلال ثلاثة أعوام استقرت حياتي وأصبحت أجيد لغتهم وأكون صداقات مع بعضهم، وكنت قد بدأت في الانتظام في إرسال مبالغ شهرية لأهلي مع خطابات أحمي فيها لهم عن نجاحي وسعادتي. وابتسمت لي الحياة أكثر.. فقد تعرفت على شقيقة صاحب الصيدلية وهي فتاة على قدر كبير من الجمال كانت قد أنهت دراستها الجامعية وقد تخصصت أيضا في الصيدلة وبارك شقيقها ارتباطي بها، لما لمس من أمانتي وخلقني وحرصني على مصلحتي.

وكان شرطي الأول لإتمام الزواج أن تشهر إسلامها.. وكما كانت سعادتي حين قالت انها ستسلم ليس فقط بغرض الزواج مني، وإنما لأنها أحببت الإسلام، وأقنعت به من كثرة حديثي معها عنه، وبالفعل ذهبنا إلى المركز الإسلامي الصغير الموجود بالعاصمة وأشهرت إسلامها وبعد أسبوع واحد تزوجنا، وانتقلنا لنعيش في قُبل صغيرة جميلة اشتريناها لتكون عشا للزوجية.

وعشت أجمل أيام حياتي: فقد رأيت من زوجتي الحب والإخلاص والتفاني في رعايتي، وكانت قد اتفقت مع شقيقها على أن أترك العمل عنده، بعد أن قررت أن تفتتح صيدلية، أحدث على أن تكون باسمي واسمها معا. وافتتحنا الصيدلية وكانت على مقربة من البيت.. وكنت أعمل فيها طوال النهار وأعود لأجدها في انتظاري بكل الحب والشفوق، فنمضي سهرتنا في مشاهدة التلفزيون أو الحديث أو نخرج لزيارة أهلنا.

وسارت بنا الحياة هادئة ناعمة.. حتى دخل الشيطان بيتنا. وكان هذا الشيطان امرأة شابة طاعية الجمال والفتحة انتقلت لتعيش مع زوجها في القُبل المجاورة لنا، وكان من الطبيعي أن ندعوها لزيارتنا للترتيب بيها، ثم بدأنا نتبادل الزيارات وقضاء الأسابيع اما عندها أو عندهم، ونخرج لقضاء عطلات نهاية الأسبوع معا. وبدأت الأظن أن جارتنا توليني اهتماما



أعرفت لماذا أريد أن أموت؟ (المحطمة.. جريمة الزمن القادر) صورة مؤلمة حزينة تمزق القلب.. صورة مؤسفة تعكس الفشل الذريع لرب البيت حين يغيب بجسده وروحه عن بيته. تتمزق الروابط والصلوات بين أفراد البيت، ويهرب الحب ويحل الحقد. ويخفي التفاهم ويبسود الكره وعدم الثقة. ضاربا.. فشيمة أهل البيت الرقص. والأب راع مسؤول عن رعيته، ولا بد انه سيحاسب على المسؤولية يوم يلحقه بأولاده نتيجة انصرافه عنهم وإهماله لمسؤوليته تجاههم. أما أنت يا صغيرتي فلك الله. وأنمسي ألا تعيدي الحديث أو التفكيك في الصوت، وان تشغلي نفسك بمحاولة الاهتمام بدراستك والنجاح فيها بسرعة. حتى تغير حياتك أن نشاء الله إلى الأفضل.

تغتاب أختها.. والصغير لا يحترم الكبير. أما والذي فهو لا يحب سوى نفسه، وهو دائما خارج البيت ولا يدري عنا شيئا، ولا يهمه أن يراقب تصرفات بناته.. وقد حاولت أن أسدي النصح إلى إحدى شقيقاتي عندما سمعتها تتحدث في الهاتف مع شخص غريب لكنها لم تستمع وهزت كتفها غير عابئة. وهكذا أصبح بيتنا مجرد فندق ومطعم نجتمع فيه فقط لتأكل وننام.. لا يجتمع بيننا أي تفاهم أو حب، حتى أننا نادرا ما نتحدث أحدا للأخر وكأننا غرباء في هذا الفندق. إنني لا أحب هذه الحياة. وأصبحت أتمنى أن يأتي ذلك اليوم الذي يرتدي فيه أفراد أسرتي ملابس الحداد السوداء علي، حتى يشعروا يوما واحدا بشيء مشترك يربطهم، وأنه لا غنى لأحدهم عن حب وحنان وتفهم الآخرين.

أنا فتاة محببة في الخامسة عشرة. على خلق ودين ومحبوبة من الجميع.. لكنني أعيش ألما وأحزاناً لا يمكن وصفها، جعلتني أتمنى أن أموت وأرحل عن هذه الدنيا وعذابها. مشكلتي بدأت ومارألت في البيت: فأنا لا أشعر بالأمان والاستقرار في البيت الذي تفكك وأصبح كل فرد من أفرادنا لا يهتم سوى بنفسه، وكل واحد وله مشاكله، فعندما حصلت أختي على الثانوية والتحقت بالجامعة، شاء القدر أن ترسب ثلاث سنوات متتالية فصب والذي جام غضبه عليها ونعتها بالفشل، خاصة بعد أن انتظر خطيبها أن تنجح في الجامعة فلم تنجح فهرب منها. أنظر في وجه أفراد أسرتي.. فأرى الواحد منهم يبادل الآخر الحقد والكرهية.. فالأخت تعادي أختها والأخت الأخرى

هل عرفت لماذا.. أريد الموت؟

هل تعظ نحن الرجال؟ أم أن هناك من يريد أن يتعلم الدرس.. ويدفع ثمنه.. ثم يندم وقت لا ينفع الندم؟ (الناهم/م)